



زاد الأئمة والخطباء رقم (٥٣)

الدليل الإرشادي لخطبة الجمعة

عشرُ ذي الحجة.. فضائلُ وبشائرُ

٢٨ ذو القعدة ١٤٤٧هـ - ١٥ مايو ٢٠٢٦

الهدف المراد توصيله: التوعية بفضائل أيام العشر الأول من ذي الحجة

الخطبة الثانية

العناية بالنظافة في كل الشؤون العامة والخاصة

لمتابعة المزيد من خطبة الجمعة: <https://awkafonline.gov.eg/friday-sermon>

لمتابعة المنصة الرسمية لوزارة الأوقاف: [/https://awkafonline.gov.eg](https://awkafonline.gov.eg)

عشرُ ذي الحجة.. فضائلُ وبشائرُ

الحمد لله الذي جعل مواسمَ الخير تتتابع على عباده؛ ليفتح لهم أبواب الرحمة، ويضاعف لهم الأجر، ويوقظ في القلوب معاني الشوق إليه والإنابة بين يديه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد؛ مَنْ دَلَّ أُمَّتَهُ على مواطن الفضل، وحثَّها على اغتنام نفحات الله في الأيام المباركات، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فها هي العشر الأوائل من ذي الحجة قد أقبلت، تحمل معها أنفاس الطاعة، ونفحات المغفرة، وأبواباً من القرب لا تُفتح في غيرها، أيامٌ أقسم الله بها في كتابه الكريم، ورفع شأنها فوق سائر الأيام، ونوّهت بها السنة النبوية المشرفة، فما أحوجنا فيها إلى قلوبٍ تتوب، وألسنةٍ تذكر، ونفوسٍ تُقبل على الله بصدقٍ وإخلاص، إنها أيامٌ تُغسل فيها نفوسنا من الذنوب، وتُرفع لنا فيها الدرجات، وتُجبر فيها قلوبنا المنكسرة، فطوبى لمن عرف قدرها، وأحسن استقبالها، وعمرها بالطاعة والإنابة والعمل الصالح، وإليك طرفاً من بيان القرآن والسنة عنها:

السعيد من اغتنم مواسم الشهور

لقد اختصَّ اللهُ أُمَّةَ سيدنا محمدٍ صلى اللهُ عليه وسلم بفيضٍ من المنح الربانية، وأغدق عليها من مواسم الرحمة والنفحات الإيمانية ما جعل أيامها ولياليها ميادينَ للتسابق إلى رضوانه؛ مواسمٌ تُضاعف فيها الحسنات، وتُمحى بها السيئات، وتتنزل فيها الرحمات

والبركات، حتى غدت محطات يتزود منها المؤمنون، ويتنافس فيها السائرون إلى الله، طمعاً في مغفرته، ورجاءً في واسع فضله وإحسانه، فعن أنسٍ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «افْعَلُوا الْخَيْرَ دَهْرَكُمْ، وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ رَحْمَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ لِلَّهِ نَفَحَاتٍ مِنْ رَحِمَتِهِ، يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَسَلُّوا اللَّهَ أَنْ يَسْتُرَ عَوْرَاتِكُمْ، وَأَنْ يُؤَمِّنَ رَوْعَاتِكُمْ» [رواه الطبراني].

عَنْ كَعْبٍ، قَالَ: "اخْتَارَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْبِلَادَ، فَأَحَبُّ الْبُلْدَانِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْبَلَدُ الْحَرَامُ، وَاخْتَارَ اللَّهُ الزَّمَانَ فَأَحَبُّ الزَّمَانِ إِلَى اللَّهِ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ، وَأَحَبُّ الْأَشْهُرِ إِلَى اللَّهِ ذُو الْحِجَّةِ، وَأَحَبُّ ذِي الْحِجَّةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الْعَشْرُ الْأَوَّلُ مِنْهَا" [حلية الأولياء].

قال ابن رجب: "فالسَّعِيدُ مَنْ اغْتَنَّمَ مَوَاسِمَ الشُّهُورِ وَالْأَيَّامِ وَالسَّاعَاتِ، وَتَقَرَّبَ فِيهَا إِلَى مَوْلَاهُ بِمَا فِيهَا مِنْ وَظَائِفِ الطَّاعَاتِ، فَعَسَى أَنْ تُصِيبَهُ نَفْحَةٌ مِنْ تِلْكَ النَّفْحَاتِ، فَيَسْعَدُ بِهَا سَعَادَةً يَأْمَنُ بَعْدَهَا مِنَ النَّارِ وَمَا فِيهَا مِنَ اللَّفْحَاتِ" [لطائف المعارف].

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ، إِلَى السَّبْعِينَ، وَأَقَلُّهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ» [رواه الترمذي].

عشرُ ذي الحجة.. حضورٌ متكرَّرٌ في القرآن العظيم

ولِعِظَمِ شَأْنِ الْعَشْرِ الْأَوَّلِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، نَوَّهَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِفَضْلِهَا فِي مَوَاضِعَ مُتَعَدِّدَةٍ، فَجَاءَ ذِكْرُهَا مُشْرِقًا بَيْنَ آيَاتِ الذِّكْرِ وَالْحَجِّ وَالْمَنَاجَاةِ؛ إِشْعَارًا بَعْلُوْ مَنْزِلَتِهَا، وَرَفْعَةً

قدرها عند الله تعالى، فقال سبحانه: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، وهي - كما قال أهل التفسير - عشرُ ذي الحجة، تلك الأيام التي تمتلئ فيها الأرض بالتكبير والتهليل، وتفيض فيها القلوب بمعاني العبودية والخضوع.

وقال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ [البقرة:] فكانت هذه العشر خاتمة أشهر الحج، وذروة أيامه المباركة، فيها تتعلق الأرواح ببيت الله الحرام، وتلتقي جموع المؤمنين على صعيدٍ واحد، في مشهدٍ تهتز له القلوب خشوعًا وإجلالًا.

ثم يزيد القرآن هذه الأيام شرفاً حين يربطها بميقات نبي الله موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢] وقد قال مجاهد وابن جريج ومسروق: إن هذه العشر هي عشرُ ذي الحجة؛ [تفسير الطبري] فكأنها أيامُ اصطفاها الله للمناجاة والقرب، ورفع فيها الأرواح إلى مقامات الصفاء والإيمان.

فأيُّ أيامٍ هذه التي اجتمع لها شرف الذكر، وفضل الحج، وكرامة الميقات، حتى غدت موسمًا تنزل فيه الرحمات، وتُفتح فيه أبواب الطاعات، ويقف فيه المؤمن بين الخوف والرجاء، يرجو رحمة مولاه، ويؤمل عفوه ورضاه؟

القسمُ الربانيُّ بالعشر.. إشراقةُ الفضلِ وعظمةُ الزمان

قال تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ١-٢].

قال صاحب الكشاف: " أراد بالليالي العشر: عشر ذى الحجة. فإن قلت: فما بالها منكرة من بين ما أقسم به؟ قلت: لأنها ليال مخصوصة من بين جنس الليالي، العشر بعض منها، أو مخصوصة بفضيلة ليست لغيرها".

"أقسم الله سبحانه بهذه الأقسام الخمسة؛ لشرفها وعظمتها، ولما فيها من الفوائد الدينية والدينية، فأقسم بالفجر - وهو الصبح -؛ لما يحصل به من ظهور الضوء، وانتشار الناس لتحصيل الرزق، وقيل: هو صلاة الفجر؛ لأنها مشهودة يشهدها ملائكة الليل، وملائكة النهار، وعن مسروق، ومجاهد، ومحمد بن كعب: المراد به فجر يوم النحر خاصة، وهو خاتمة الليالي العشر، كما أقسم بالليالي العشر؛ لشرفها بما يقع فيها، والمراد بها: عشر ذى الحجة كما قال ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وغير واحد من السلف والخلف...". [التفسير الوسيط - مجمع البحوث].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: " الْعَشْرُ الَّتِي أَقْسَمَ اللَّهُ بِهِنَّ لَيَالِي عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ، وَالشَّفْعُ يَوْمُ الذَّبْحِ، وَالْوَثْرُ يَوْمُ عَرَفَةَ " [شعب الإيمان].

العشر من ذى الحجة والعمل الصالح

ومن أعظم ما يميز العشر الأوّل من ذى الحجة؛ أنّ للعمل الصالح فيها منزلة عظيمة عند الله تعالى، حتى صار أحبّ إليه سبحانه من العمل في سائر أيام الدنيا، فعن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحبّ إلى الله من

هذه الأيام يعني: أيام العشر، قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجلٌ خرَجَ بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء» [رواه أبو داود].

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: "وقد دلَّ هذا الحديث على أنَّ العملَ في أيامه أحبُّ إلى الله من العمل في أيام الدنيا من غير استثناءٍ شيءٍ منها، وإذا كان أحبَّ إلى الله فهو أفضلُّ عنده. وقد وردَ هذا الحديث بلفظ: «ما من أيامٍ العملُ فيها أفضلُّ من أيام العشر».

وروي بالشك في لفظة أحبُّ أو أفضلُّ. وإذا كان العملُ في أيام العشر أفضلَّ وأحبَّ إلى الله من العمل في غيره من أيام السنة كُلِّها، صار العملُ فيه، وإن كان مفضولاً، أفضلَّ من العمل في غيره وإن كان فاضلاً" [لطائف المعارف].

وفي مسند الإمام أحمد، عن ابنِ عمرَ عنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قالَ «مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمَ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَمَلِ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ فَأَكْثَرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ».

وَعَنِ الْأَوْزَاعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ الْعَمَلَ فِي الْيَوْمِ مِنْ أَيَّامِ الْعَشْرِ كَقَدْرِ غَزْوَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَصَامُ نَهَارَهَا وَيَحْرُسُ لَيْلَهَا إِلَّا أَنْ يَخْتَصَّ امْرُؤٌ بِشَهَادَةٍ قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ حَدَّثَنِي بِهَذَا الْحَدِيثِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [رواه البيهقي].

عشر رمضان وعشر ذي الحجة.. أيهما أعظم فضلًا؟

قال الحافظ ابن حجر: "والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة لمكان اجتماع أمهات العبادات فيه، وهي: الصلاة، والصيام، والصدقة، والحج، ولا يتأتى ذلك في غيره". [فتح الباري].

ونقل القسطلاني عن أبي أمامة بن النقاش: "فإن قلت: أيهما أفضل، عشر ذي الحجة، أو العشر الأواخر من رمضان؟ فالجواب: أن أيام عشر ذي الحجة أفضل؛ لاشتمالها على اليوم الذي ما رؤي الشيطان في يوم - غير يوم بدر - أدحر ولا أغيظ ولا أحقر منه فيه وهو يوم عرفة، ولكون صيامه يكفر سنتين، ولامتثالها على أعظم الأيام عند الله حُرمة وهو يوم النحر الذي سماه الله تعالى يوم الحج الأكبر، وليالي عشر رمضان الأخير أفضل؛ لاشتمالها على ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر". [المواهب اللدنية].

وقال الحافظ ابن كثير: "... وفي سنن أبي داود: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصوم هذا العشر. وهذا العشر مشتمل على يوم عرفة الذي ثبت في صحيح مسلم، عن أبي قتادة قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن صيام يوم عرفة، فقال: «أحتسب على الله أن يكفّر به السنة الماضية والآتية». ويشتمل على يوم النحر الذي هو يوم الحج الأكبر، وقد ورد في حديث أنه أفضل الأيام عند الله، وبالجملة فهذا العشر قد قيل: إنه أفضل أيام السنة، كما نطق به الحديث، وفضّله كثير على عشر رمضان الأخير؛ لأن هذا يشرع فيه

ما يشرع في ذلك من صلاة وصيام وصدقة وغيره، ويمتاز هذا باختصاصه بأداء فرض الحج فيه.

وقيل: ذلك أفضل؛ لاشتماله على ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، وتوسط آخرون فقالوا: أيام هذا أفضل، وليالي ذاك أفضل، وبهذا يجتمع شمل الأدلة، والله أعلم".
[تفسير القرآن العظيم].

قال ابن الجوزي: "قال أبو عثمان النهدي: كانوا يعظمون ثلاث عشرات: العشر الأول من ذي الحجة، والعشر الأخير من رمضان، والعشر الأول من المحرم. اعلموا رحمكم الله أن عشركم هذا ليس كعشر، وهو يحتوي على فضائل عشر: الأولى: أن الله عز وجل أقسم به فقال: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ٢]. والثانية: أنه سماه الأيام المعلومات؛ فقال تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ [الحج: ٢٨] قال ابن عباس: هي أيام العشر. والثالثة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد له بأنه أفضل أيام الدنيا. والرابعة: حث على أفعال الخير فيه. والخامسة: أنه أمر بكثرة التسبيح والتحميد والتهليل فيه. والسادسة: أن فيه يوم التروية... قال الزاهدي: وإنما سمي بيوم التروية؛ لأن عرفات لم يكن بها ماء فكانوا يتروون من الماء إليها. والسابعة: أن فيه يوم عرفة وصومه بستين. والثامنة: أن فيه ليلة جمع وهي ليلة المزدلفة... والتاسعة: أن فيه الحج الذي هو ركن من أركان الإسلام. والعاشرة: وقوع الأضحية التي هي علم للملة الإبراهيمية والشريعة المحمدية. ومن أراد أن يضحى كره له إذا دخل عليه عشر ذي الحجة أن يأخذ بشرته وأن

يقلم أظفاره أو يحلق شعره، وليتشبه بالمحرمين...". [التبصرة]. عن أبي جرير، أن سعيد بن جبير قال: لا تطفئوا سرجكم ليالي العشر، تعجبه العبادة، ويقول: أيقظوا خدمكم يتسحرون لصوم يوم عرفة [حلية الأولياء].

العشرُ المباركات من ذي الحجة.. تاجُ الأشهر الحُرْم

قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦].

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾: في كلهن، ثم اختص من ذلك أربعة أشهر، فجعلهن حُرْمًا، وعظم حُرْماتهن، وجعل الذنب فيهن أعظم، والعمل الصالح والأجر أعظم" [تفسير الطبري].

ويقول أبو طالب المكي: "ومن الفاضل: الشهور الأربعة الحرم، وهي: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب، خصهن الله عز وجل بالنهي عن الظلم فيهن؛ لعظم حرمتهن، فكذا الأعمال؛ لها فيهن فضل على غيرها، وأفضلها ذو الحجة؛ لوقوع الحج فيه، ولما خص به من الأيام المعلومات والأيام المعدودات... وإذا أحب الله عز وجل عبدًا استعمله في الأوقات الفاضلة بأفضل الأعمال؛ ليثيبه أفضل الثواب. وإذا مقت عبدًا استعمله بأسوأ الأعمال في أفاضل الأوقات؛ ليضاعف له السيئات بانتقاص حرمت الشعائر، وانتهاك المحرمات في الحرمت. ويقال: من علامات التوفيق ثلاث: دخول

أعمال البرّ عليك من غير قصد لها، وصرف المعاصي عنك مع الطلب لها، وفتح باب اللجأ والافتقار إلى الله عز وجل في الشدة والرخاء، ومن علامات الخذلان ثلاث: تعسّر الخيرات عليك مع الطلب لها، وتيسر المعاصي لك مع الرهب منها، وغلق باب اللجأ والافتقار إلى الله عز وجل في كل حال، فنسأل الله تعالى بفضله حسن التوفيق والاختيار، ونعوذ به من سوء القضاء والأقدار". [قوت القلوب في معاملة المحبوب].

وقال قتادة في هذه الآية: "اعلموا أنّ الظلم في الأشهر الحُرْمِ أعظم خطيئةً ووزراً فيما سوى ذلك، وإن كان الظلم في كلِّ حالٍ غير طائل، ولكنَّ الله تعالى يُعظّم من أمره ما يشاء تعالى ربنا" [تفسير الطبري].

وعن أبي بكرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الزَّمانُ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبٌ مُضَرٌّ، الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ» [متفق عليه].

في رحابِ العشر.. تعظيمُ شعائرِ الله وحرماته

فالعظيم أحق ما يعظم، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾ [الحج: ٣٠]. وإذا كانت الحسنة تضاعف في مواسم الخيرات، فكذا السيئة، و"العشر" داخلة تحت "الأشهر الحرم" التي قال الله عنها: ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦]، وكما قال الله في حق أمهات المؤمنين: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ

مَنْ يَأْتِ مِنْكُمْ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * وَمَنْ يَقْتُلْ مِنْكُمْ لِيٍّ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣٠-٣١﴾ [الأحزاب: ٣٠ - ٣١].

قال ابن رجب: (وقد تُضَاعَفُ السيئاتُ بشرفِ فاعلها، وقوَّةِ معرفته بالله، وقُربِهِ منه، فَإِنَّ مَنْ عَصَى السُّلْطَانَ عَلَى بَسَاطِهِ أَعْظَمُ جُرْمًا مِمَّنْ عَصَاهُ عَلَى بُعْدٍ، ولهذا تَوَعَّدَ اللهُ خَاصَّةً عِبَادَهُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ بِمُضَاعَفَةِ الْجَزَاءِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ عَصَمَهُمْ مِنْهَا، لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَضْلَهُ عَلَيْهِمْ بِعَصَمَتِهِمْ مِنْ ذَلِكَ، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تَبَتَّنَا لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤ - ٧٥] [جامع العلوم والحكم]. قال أ.د/ موسى لاشين: (ومضاعفة العذاب تقتضي مضاعفة الثواب، كما ثبت أن الذي يقرأ القرآن وهو عليه شاق له أجران، وأن التي تتصدق على قريبها لها أجران: أجر الصدقة وأجر الصلاة، وأن الحاكم إذا أصاب له أجران، ومن سن سنة حسنة له أجران، له أجرها وأجر من عمل بها، وبالتبع نجد غير ذلك ممن له أجران). [فتح المنعم شرح صحيح مسلم].

فيها يوم عرفة

وفيها يوم عرفة الذي فيه وقوف الحجاج في هذا المشعر العظيم، وهو ركن الحج الأعظم وهو اليوم المشهود: (اليوم الموعود يوم القيامة، واليوم المشهود يوم عرفة، وهو أفضل الأيام) وقال النبي صلي الله عليه وسلم: «الحج عرفة» مسند أحمد.

وعن هُنَيْدَةَ بْنِ خَالِدٍ عَنْ امْرَأَتِهِ قَالَتْ: حَدَّثَنِي بَعْضُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَانَ يَصُومُ عَاشُورَاءَ، وَتِسْعًا مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ» [رواه النسائي].

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ» [رواه مسلم].

وينقل الإمام النووي عن القاضي عياض، قال: قال المازري: معنى "يدنو" في هذا الحديث، أي: تدنو رحمته وكرامته، لا دنو مسافة ومماسة"... قال القاضي: "وقد يريد دنو الملائكة إلى الأرض أو إلى السماء؛ بما ينزل معهم من الرحمة، ومباهاة الملائكة بهم عن أمره سبحانه وتعالى" [شرح النووي على مسلم].

فيها يوم النحر

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُرْطٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَفْضَلُ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمُ النَّحْرِ، وَيَوْمُ الْقَرِّ» [رواه ابن حبان].

كيف نغتنم عشر ذي الحجة بالأعمال الصالحة؟

"كَانَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ إِذَا دَخَلَ أَيَّامَ الْعَشْرِ اجْتَهَدَ اجْتِهَادًا شَدِيدًا حَتَّى مَا يَكَادُ يَقْدِرُ عَلَيْهِ" [رواه البيهقي].

التوبة:

فعلى المسلم أن يستقبل مواسم الطاعات عامة بالتوبة الصادقة والعزم الأكيد على الرجوع إلى الله، ففي التوبة فلاح للعبد في الدنيا والآخرة؛ يقول تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

المجاهدة:

فينبغي على المسلم أن يحرص حرصًا شديدًا على عمارة هذه الأيام بالأعمال والأقوال الصالحة، ومن عزم على شيء أعانه الله وهياً له الأسباب التي تعينه على إكمال العمل، ومن صدق الله صدقه الله، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وَرُوِيَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: عَلَيْكُمْ بِصَوْمِ أَيَّامِ العَشْرِ، وَإِكْتِثَارِ الدُّعَاءِ، وَالِاسْتِغْفَارِ، وَالصَّدَقَةِ فِيهَا، فَإِنِّي سَمِعْتُ نَبِيَّكُمْ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الْوَيْلُ لِمَنْ حُرِمَ خَيْرَ أَيَّامِ العَشْرِ» .

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٍ وَلَا شَفَاعَةٍ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وقال رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ» [رواه مسلم].

والتقرب إلى الله بالأضحية، فإنها من أعظم الشعائر، قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤].

التكبير والتهليل:

كان الصحابة يخرجون إلى الأسواق في العشر، فيكبرون، ويكبر المسلمون معهم، قال الإمام البخاري: "وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ: يَخْرُجَانِ إِلَى السُّوقِ فِي أَيَّامِ الْعَشْرِ، يُكَبِّرَانِ وَيُكَبِّرُ النَّاسُ بِتَكْبِيرِهِمَا" [رواه البخاري].

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمَ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعَمَلُ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ، فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ» [رواه أحمد].

ولا يخفى أن التكبير إنما هو بمثابة التنقية الروحية التي تُعيد ترتيب الأولويات؛ فهو تذكير دائم بأن الصعاب مهما عظمت، تظل تحت كبرياء من له ملكوت كل شيء.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا أَهْلٌ مُهَلُّ قَطُّ إِلَّا بُشْرٌ، وَلَا كَبْرٌ مُكَبَّرٌ قَطُّ إِلَّا بُشْرٌ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِالْجَنَّةِ؟ قَالَ: «نَعَمْ» [رواه الطبراني].

وَكَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُكَبِّرُ فِي قُبَّتِهِ بِمَنَى فَيَسْمَعُهُ أَهْلُ الْمَسْجِدِ فَيُكَبِّرُونَ وَيُكَبِّرُ أَهْلُ الْأَسْوَاقِ حَتَّى تَرْتَجَّ مِنِّي تَكْبِيرًا وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يُكَبِّرُ بِمَنَى تِلْكَ الْأَيَّامَ وَخَلْفَ الصَّلَوَاتِ

وَعَلَى فِرَاشِهِ وَفِي فُسْطَاطِهِ وَمَجْلِسِهِ وَمَمَشَاهُ تِلْكَ الْأَيَّامَ جَمِيعًا وَكَانَتْ مِثْمُونَةً تُكَبَّرُ يَوْمَ
النَّحْرِ وَكُنَّ النِّسَاءُ يُكَبِّرْنَ خَلْفَ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ وَعُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِيَالِي التَّشْرِيقِ مَعَ
الرِّجَالِ فِي الْمَسْجِدِ [رواه البخاري].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ أَيَّامٍ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ،
وَلَا الْعَمَلُ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ، فَأَكْثَرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ
وَالتَّكْبِيرِ، فَإِنَّهَا أَيَّامُ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَذَكَرَ اللَّهُ، وَإِنَّ صِيَامَ يَوْمٍ مِنْهَا يَعْدِلُ صِيَامَ سَنَةٍ، وَالْعَمَلُ
فِيهِنَّ يُضَاعَفُ سَبْعِمِائَةً ضِعْفٍ» [رواه البيهقي].

استحباب الصيام:

عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ
يَصُومُ تِسْعَ ذِي الْحِجَّةِ، وَيَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ» [شرح معاني الآثار
للطحاوي]. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ أَبَا
مُوسَى فِي سَرِيَّةٍ فِي الْبَحْرِ فَبِينَا هُمْ كَذَلِكَ قَدْ رَفَعُوا الشَّرَاعَ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ إِذَا هَاتِفٌ مِنْ
فَوْقِهِمْ يَهْتِفُ بِأَهْلِ السَّفِينَةِ قِفُوا أُخْبِرْكُمْ بِقَضَاءِ قَضَاءِ اللَّهِ عَلَى نَفْسِهِ فَقَالَ أَبُو مُوسَى: أُخْبِرْ
إِنْ كُنْتَ مُخْبِرًا، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَضَى عَلَى نَفْسِهِ أَنَّهُ مَنْ أَعْطَشَ نَفْسَهُ لَهُ فِي يَوْمٍ
صَائِفٍ سَقَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْعَطَشِ" [رواه البزار]، أما حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: «مَا
رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَائِمًا فِي الْعَشْرِ قَطُّ» [رواه مسلم].

قال الإمام النووي: "قال العلماء هذا الحديث مما يوهم كراهة صوم العشر والمراد بالعشر هنا الأيام التسعة من أول ذي الحجة قالوا: وهذا مما يتأول فليس في صوم هذه التسعة كراهة بل هي مستحبة استحباباً شديداً لا سيما التاسع منها وهو يوم عرفة..، فيتأول قولها: "لم يصم العشر أنه لم يصمه لعارض مرض أو سفر أو غيرهما أو أنها لم تره صائماً فيه ولا يلزم من ذلك عدم صيامه في نفس الأمر" [شرح النووي على مسلم].

جبر الخواطر وإدخال السرور على القلوب:

فَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السَّوِّءِ وَالْأَفَاتِ وَالْهَلَكَاتِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمْرِ، وَكُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَأَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ، وَأَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الْآخِرَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ» [رواه ابن حبان].

وَعَنْ أَبِي شَرِيكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مِنْ أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ إِدْخَالَ السُّرُورِ عَلَى الْمُسْلِمِ، أَوْ أَنْ تَفْرَجَ عَنْهُ غَمًّا، أَوْ تَقْضِيَ عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تُطْعِمَهُ مِنْ جُوعٍ» [الزهد والرقائق لابن المبارك]، وَعَنْ أَبِي أَمَامَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَيُّمَا امْرِئٍ مُسْلِمٍ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا كَانَ فَكَأَكُهُ مِنَ النَّارِ، يُجْزِي كُلُّ عَضْوٍ مِنْهُ عَضْوًا مِنْهُ» [رواه الترمذي]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

إصلاح ذات البين:

يا من ترجو رحمة ربك في العشر، ويا من ستتقرب إلى الله بالأعمال الصالحة، كيف تقدم على الله، وتأمل قبولك عنده؟! وأنت لرحمك قاطع؟! ولجارك مشاحن؟! ولصديقك مبغض؟! تنبه، وأفق من غفلتك، وعُد لرشدك؛ فإن الجنة تفتح أبوابها وغرفها، فيغفر الله لكل مؤمن إلا لمتخاصمين، فمغفرتهم متوقفة على صفائهما، وزوال عداوتهما؛ فعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا» [رواه مسلم].

الإكثار من الذكر:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ [البقرة: ٢٠٠].

وقال جل شأنه: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ [الحج: ٢٨].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "هي أيام العشر"، وذكره سبحانه فيها من أفضل القربات، قال النبي صلى الله عليه وسلم: ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه من العمل فيهن من هذه العشر، فأكثرُوا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد [رواه أحمد]، وفي

رَوَايَةِ الدَّارِمِيِّ: «مَا مِنْ عَمَلٍ أَرْكَى عِنْدَ اللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا وَلَا أَعْظَمَ أَجْرًا مِنْ خَيْرِ يَعْمَلُهُ فِي عَشْرِ الْأَضْحَى...»، قال النووي - رحمه الله -: «يُستحبُّ الإكثارُ من الأذكار في هذه العشر زيادةً على غيرها، ويستحبُّ من ذلك في يوم عرفة أكثر من باقي العشر».

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ، فَقَالَ: «سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ» قَالُوا: وَمَا الْمُفْرَدُونَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ» [رواه مسلم].

ربط الرسول صلى الله عليه وسلم بين الذكر وبين إسماعيل عليه السلام: عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، قَالَ: "مَنْ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ» [رواه مسلم].

استحضر معاني الذكر بالقلب والوجدان، فإن ذلك أجدى وأنفع، قال القرطبي: "لما كان الذاكرون في إدراكاتهم وفهومهم مختلفين، كانت أجورهم على ذلك بحسب ما أدركوا، وعلى هذا ينزل اختلاف مقادير الأجور والثواب المذكور في أحاديث الأذكار، فإنك تجد في بعضها ثوابا عظيما مضاعفا، وتجد تلك الأذكار بأعيانها في رواية أخرى أكثر أو أقل". [المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم].

الصدقة:

وهي من جملة الأعمال الصالحة التي يستحب للمسلم الإكثار منها في هذه الأيام، وقد حث الله عليها، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا

بِئْسَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿البقرة: ٢٥٤﴾، وقال رَسُولُ اللَّهِ -
صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ» [رواه مسلم].

والتقرب إلى الله بالأضحية، فإنها من أعظم الشعائر، قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا
مَنْسَكًا لِيذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ
الْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤].

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَفْضَلَ الصَّدَقَةِ الصَّدَقَةُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ
الْكَاشِحِ» [رواه أحمد].

الأضحية:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:
١٦٢]، وقال صلى الله عليه وسلم: «من كان له سعة ولم يضح فلا يقربن مصلانا» [رواه
ابن ماجه].

والأضاحي سنة إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم وفي حديث زيد بن أرقم،
«قيل: يا رسول الله، ما هذه الأضاحي؟ قال: سنة إبراهيم. قيل له: فما لنا بها؟ قال: بكلِّ
شعرة حسنة. قيل: فالصَّوف؟ قال: بكلِّ شعرة من الصَّوف حسنة» [رواه أحمد].

روى أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئِلَ: أي
الأعمال أفضل؟ قال: «العج والثج» [رواه الترمذي]، ومعنى العج: رفع الصوت بالتلبية،
ومعنى الثج: النحر، أي التقرب إلى الله بالأضحية.

وحدث على ذلك حتى قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَانَ لَهُ سَعَةٌ، وَلَمْ يُضَحِّ، فَلَا يَقْرَبَنَّ مُصَلَّانَا» [ابن ماجه].

معنى التسليم: حين قال: ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ [الصفات: ١٠٢] فكان الرد: ﴿افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ [الصفات: ١٠٢].

استحباب الكف عن أخذ شيء من الشعر والأظافر:

مَنْ أَرَادَ أَنْ يَضْحِيَ، فَيَسْتَحِبُّ لَهُ أَنْ يُمَسِكَ عَنِ الْأَخْذِ مِنْ شَعْرِهِ وَظُفْرِهِ مِنْذُ دُخُولِ الْعَشْرِ إِلَى أَنْ يَذْبَحَ أَضْحِيَّتَهُ؛ فَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمْ هَلَالَ ذِي الْحِجَّةِ، وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَضْحِيَ، فَلْيُمَسِكَ عَنِ شَعْرِهِ وَأَظْفَارِهِ» [رواه مسلم].، ولعل الحكمة من ذلك أن يشارك الحجاج في بعض مناسكهم وأعمالهم؛ ولئلا يغيب عن خاطره عظمة تلك الأيام، وفضل ما يقع فيها من الأعمال، والأمر فيه سعة وتيسير.

وهناك مقصد آخر أشار إليه الطيبي، وقدمه على السابق، فقال: «ذهب بعضهم إلى أن النهي للتشبه بحجاج بيت الله الحرام المحرمين، والأولى أن يقال: المضحى يرى نفسه مستوجبة للعقاب وهو القتل، ولم يؤذن فيه، ففداها بالأضحية، وصار كل جزء منها فداء كل جزء منه، فلذلك نهي عن مس الشعر والبشرة؛ لئلا يفقد من ذلك قسطاً ما عند تنزل الرحمة، وفيضان النور الإلهي، ليطمئنه الفضائل، ويتنزّه عن النقائص» [شرح المشكاة بتصرف].

وهناك أعمال أخرى يستحب الإكثار منها في هذه الأيام بالإضافة إلى ما ذكر، نذكر منها على وجه التذكير ما يلي: قراءة القرآن وتعلمه، والاستغفار، وبر الوالدين، وصلة الأرحام والأقارب، وإفشاء السلام وإطعام الطعام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإحسان إلى الجيران، وإكرام الضيف، وإمالة الأذى عن الطريق، وزيارة المرضى، وقضاء الحوائج.

الخطبة الثانية

العناية بالنظافة في كل الشؤون العامة والخاصة

لم يجعل الإسلام النظافة شأنًا ثانويًا في حياة الإنسان، بل أقامها على صدارة منظومته القيمة، وجعلها عنوانًا على صفاء الظاهر ونقاء الباطن، ولذلك كانت النظافة من أهم مظاهر الرقي والتحضّر في حياة الأفراد والمجتمعات، فهي ليست مجرد عادة يومية، بل سلوك حضاري يعكس وعي الإنسان واهتمامه بصحته وصحة من حوله. ومع دخول الصيف وارتفاع درجات الحرارة، تزداد الحاجة إلى العناية بالنظافة العامة والخاصة، ولذلك ينبغي أن تكون النظافة أسلوب حياة نحرص عليه في كل وقت، وخاصة في فصل الصيف.

وقد جاءت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية مؤكدةً هذا المعنى، داعيةً إلى التزيّن بالطهارة في كل حال، من وضوءٍ يهيئ للوقوف بين يدي الله، إلى عنايةٍ بالجسد والملبس والمظهر العام، بما يحقق للإنسان كرامته، وللمجتمع طهارته ونقاؤه، لا سيما ونحن مقبلون على فصل الصيف، وفيه يتأذى كثير من الناس من قلة عناية البعض بهذا الملمح رغم أمر الشارع به، وإليك بيان ذلك:

بني الإسلام على النظافة

روى الرافعي في "تاريخه" عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: "تنظفوا بكل ما استطعتم فإن الله تعالى بنى الإسلام على النظافة ولن يدخل الجنة إلا كل نظيف"، قال

المناوي: " والمراد النظافة صورة ومعنى، والشرائع كلها منظفات، أو صورة عن الحديثين والخبث والمكروه، والثناء عليها مبالغة لبناء الأصول من نحو صلاة وقراءة وزكاة وصوم وحج ومخالطة وفروعها عليها" [فيض القدير]

وأخرج الترمذي: «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ، فَتَظَنُّوا - أَرَاهُ قَالَ - أَفْنَيْتِكُمْ وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ» قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِمُهَاجِرِ بْنِ مِسْمَارٍ، فَقَالَ: حَدَّثَنِيهِ عَامِرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَهُ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: «نَظَّفُوا أَفْنَيْتِكُمْ».

وقال ابن الأثير: "نَظَافَةُ اللَّهِ: كِنَايَةٌ عَنْ تَنَزُّهِهِ مِنْ سِمَاتِ الْحَدَثِ، وَتَعَالِيهِ فِي ذَاتِهِ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ. وَحُبُّهُ النَّظَافَةَ مِنْ غَيْرِهِ كِنَايَةٌ عَنْ خُلُوصِ الْعَقِيدَةِ وَنَفْيِ الشَّرْكِ وَمُجَانِبَةِ الْأَهْوَاءِ، ثُمَّ نَظَافَةُ الْقَلْبِ عَنِ الْغِلِّ وَالْحِقْدِ وَالْحَسَدِ وَأَمْثَالِهَا، ثُمَّ نَظَافَةُ الْمَطْعَمِ وَالْمَلْبَسِ عَنِ الْحَرَامِ وَالشُّبْهِ، ثُمَّ نَظَافَةُ الظَّاهِرِ لِمَلَابَسَةِ الْعِبَادَاتِ". [النهاية في غريب الحديث والأثر].

الطهور شرط الإيمان

أخرج مسلم في "صحيحه" عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الطُّهُورُ شَرْطُ الْإِيمَانِ».

قال المازري: «يحتمل هذا الحديث وجهين: أحدهما: أن يكون المراد بقوله "شرط الإيمان"، أي أنه ينتهي تضعيف الأجر فيه إلى نصف أجر الإيمان من غير تضعيف.

والوجه الثاني: أن يكون معنى شطر الإيمان: أن الإيمان يُجِبُّ ما قبله من الآثام، وقد أخبر عليه السلام أن الوضوء أيضًا يُذهبُ الخطايا عن الإنسان، إلا أنه قد قام الدليل أن الوضوء لا يصح الانتفاع به إلا مع مضاممة الإيمان له فكأنه لم يحصل به رفع الإثم إلا مع شيء ثان، ولما كان الإيمان يمحو الآثام المتقدمة عليه بانفراده صار الطهور في التشبيه كأنه على الشطر منه» [المعلم بفوائد مسلم].

وقال تعالى في كتابه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وروي الطحاوي عن عطاء قال: "التَّوَّابِينَ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمُتَطَهِّرِينَ بِالْمَاءِ" ثم قال: ففِي هَذَا أَنَّ الطَّهَارَةَ الَّتِي أَحَبَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَهْلَهَا عَلَيْهَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الطَّهَارَةُ بِالْمَاءِ [أحكام القرآن].

وأثنى على أهل مسجد قباء فقال: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨] حتى قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما نزلت هذه الآية: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَثَنَى عَلَيْكُمْ فِي الطُّهُورِ، فَمَا طُهُورُكُمْ؟ قَالُوا: نَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ، وَنَعْتَسِلُ مِنَ الْجَنَابَةِ، وَنَسْتَنْجِي بِالْمَاءِ. قَالَ: فَهُوَ ذَاكَ، فَعَلَيْكُمْوهُ» [رواه ابن ماجه].

الطهارة شرطٌ لصحة العبادات

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلَاةَ أَحَدِكُمْ إِذَا
أَخَذَتْ حَتَّى يَتَوَضَّأَ» [صحيح البخاري].

نظافة الجسد.. فطرة تُزكِّي الإنسان وتُجَمِّلُ حياته

اعتنى الإسلام بنظافة الجسد عنايةً بالغة، فجعلها من دلائل الفطرة السليمة التي فطر
الله الناس عليها، وأرشد إلى خصالٍ تحفظ للإنسان طهارته وجماله، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ
عنها؛ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وَإِعْفَاءُ
اللِّحْيَةِ، وَالسُّوَاكُ، وَاسْتِنْشَاقُ الْمَاءِ، وَقَصُّ الْأَظْفَارِ، وَغَسْلُ الْبَرَاجِمِ، وَتَنْفُ الْإِيطِ، وَحَلْقُ
الْعَانَةِ، وَانْتِقَاصُ الْمَاءِ». [رواه مسلم] لتبقى الهيئة نقيةً، والمظهر لائقاً، والجسد في أحسن
حالاته.

قال ابن العربي: "وقد بينَّ النبي صلى الله عليه وسلم الهيئة في الحديث الصحيح
بقوله: «عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ»، وهي هاهنا عبارة عن أصل الخِلقَة، فإن الإنسان يُخَلَقُ سليماً من
عشرة أقدار، ثم تطرأ عليه، فَأَمَرَ بالتنظف منها" [سراج المريدين].

ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل حثَّ على الاغتسال، وجعله في بعض المواضع أكد،
كغسل يوم الجمعة، حيث يتهيأ المسلم للقاء إخوته في أبهى صورةٍ وأنقى رائحة، امثالاً
لقوله صلى الله عليه وسلم: «غُسِلَ الْجُمُعَةُ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ» [رواه البخاري]، وكذا
في العيدين، ومواطن الاجتماع.

كما أولى الإسلام عنايةً خاصةً بنظافة الفم، لما له من أثرٍ في الطهارة وحسن المعاشرة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **«لَوْلَا أَنْ أُشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ وُضُوءٍ»** [رواه البخاري]، فدلّ ذلك على حرص الشريعة على أدق تفاصيل النظافة، حتى يغدو المسلم طيبَ الرائحة، حسنَ المظهر، نظيفَ الجسد، في انسجام تام بين الجمال الحسي والمعنى الإيماني.

نظافة الملابس انعكاسٌ لطهارة الباطن

اعتنى الإسلام بنظافة الثياب والمظهر العام عنايةً تُظهر أثر الطهارة في حياة المسلم وسلوكه، فجعل نقاء الملابس عنواناً على نقاء النفس، ودليلاً على اكتمال الذوق الإيماني. وقد جاء في القرآن الكريم الأمر بتطهير الثياب في قوله تعالى: **﴿وَتِيَابِكُمْ فَطَهِّرْ﴾** [المدثر: ٤]، وهو توجيهٌ جامعٌ يشمل نظافة الظاهر وحُسن الهيئة، بما يليق بالعبد في عبادته ومعاشه. كما رغب النبي صلى الله عليه وسلم في التجمّل دون إسراف أو خيلاء، مبيّناً أن الجمال قيمةٌ محبوبة في ميزان الشريعة، فلما استشكل رجل في نهيه صلى الله عليه وسلم عن الكبر قائلاً: **«إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً»** أجابه قائلاً: **«إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطْرٌ الْحَقُّ وَغَمَطُ النَّاسِ»** [رواه مسلم] فدلّ ذلك على أن التزين المعتدل والنظافة في اللباس والمظهر من الأمور التي تقرب العبد من محبة الله، وتكسبه قبولاً في قلوب الناس.

وقال صلى الله عليه وسلم أيضا: «أَحْسِنُوا لِبَاسِكُمْ وَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ فِي النَّاسِ» [الحاكم]، قال المناوي: «(أَحْسِنُوا لِبَاسِكُمْ) أَي: مَا تَلْبَسُونَهُ مِنْ نَحْوِ إِزَارٍ وَرِدَاءٍ وَقَمِيصٍ وَعِمَامَةٍ (وَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ) أَي: أَثَاثَكُمْ أَوْ سُرُوجَكُمْ الَّتِي تَرَكَّبُونَ عَلَيْهَا أَوْ الْكُلَّ (حَتَّى حَتَّى تَكُونُوا كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ)، وَالْمَرَادُ: كُونُوا فِي أَحْسَنِ زِيٍّ وَأَصْلِحْ هَيْئَةً» [التيسير بشرح الجامع الصغير].

وفي المقابل، نهت الشريعة عن إهمال الهيئة أو التبدل الذي يحدث نفورا أو يؤذي الآخرين، لأن الإسلام دين رقي و ذوق، لا يرضى بالقبح ولا الفوضى في المظهر، بل يدعو إلى الاعتدال والاهتمام بما يعكس صورة المسلم الطيبة، وهكذا يصبح المظهر العام جزءا من الرسالة الإيمانية، يجمع بين الجمال والوقار، وبين النظافة والالتزام.

طيبُ الرائحة.. من مظاهر الطهارة في الإسلام

حثت الشريعة الإسلامية على طيب الرائحة، وجعلته من مكارم الأخلاق التي تكمل جمال المسلم ظاهرا كما تزكي باطنه، فالإسلام دين النظافة والجمال، لا يرضى لأتباعه أن يؤذوا غيرهم بروائح كريهة، بل يدعوهم إلى التطيب والتجمل بما يليق بكرامتهم الإنسانية، وقد أرشد القرآن الكريم إلى هذا المعنى في سياق الأمر بالتزيين، فقال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]، ومن تمام الزينة طيب الرائحة ونظافة البدن.

وجاءت السنة النبوية مؤكدةً هذا التوجيه، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الطَّيِّب، ويقول: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالتَّيِّبُ، وَجُعِلَتْ قَرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» [رواه النسائي]، فدلَّ ذلك على عظيم شأنه ومكانته، كما نهى صلى الله عليه وسلم عن كل ما يؤذي الناس بروائح كريهة، فقال: «مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا فَلْيَعْتَزِلْنَا، أَوْ لِيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا، وَلِيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ» (متفق عليه)، حمايةً لبيوت الله وصوناً لمشاعر المصلين.

وهكذا يجمع الإسلام بين الطهارة الحسية والمعنوية، فيحث المسلم على أن يكون طيب الرائحة، حسن الهيئة، يُقبل عليه الناس ولا ينفرون منه، فيشيع بين أفراد المجتمع جوًّا من الراحة والقبول، وتغدو النظافة والتطيّب سلوكًا حضاريًّا يعكس سموّ هذا الدين وعنايته بأدقّ تفاصيل الحياة.

وسائل تعزيز النظافة الشخصية

- الحرص على العناية بالنظافة الشخصية في أماكن العمل والمدارس، لتكون سلوكًا يوميًّا يعكس الانضباط واحترام الآخرين.
- ربط النظافة بالإيمان والعبادة.
- استحضار النية التعبدية في كل سلوك نظافي، ليصبح العمل عادةً وعبادةً في آنٍ واحد.
- وضع برنامجٍ يوميٍّ ثابتٍ للعناية بالنظافة (كالاستحمام، ونظافة الفم، وتقليم الأظافر)، حتى تتحول إلى عادة راسخة.

- استخدام الوسائل الحديثة للنظافة الشخصية من معقّماتٍ وأدواتٍ عناية، بما يحقق المقصود الشرعي.
- الحفاظ على نظافة الملابس وتبديلها بانتظام، خاصةً عند الخروج أو حضور التجمعات.
- تجنّب كل ما يسبب الروائح الكريهة، والحرص على التطيّب خصوصًا في مواطن الاجتماع.



مراجع للاستزادة:

❖ فضائل الأوقات للبيهقي.

❖ لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، لابن رجب الحنبلي.